

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

قصة رواها الرسول

النبي الذي أحرق قرية النمل

لفضيلة الشيخ: جمال المراكبي

رابط المادة: <http://www.way2allah.com/khotab-item-29339.htm>

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه..

بسم الله الرحمن الرحيم، ونحمد الله عزَّ وجلَّ، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين.. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

إلهي لا تُعذِبنِي فَإِنِي * مُقَرَّرٌ بِالذِي قَد كَانَ مِنِي
فمالي حيلةٌ إلا رجائي * لعفوك فأحطُّط الأوزار عني
وكم من ذلَّة لي في الخطايا * وأنت عليّ ذو فضلٍ ومَنِّ
إذا فكَرْتُ في ندمي عليها * عضضت أناملي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري في التمني
ولو أني صدقت الزهد عنها * قلبت لأهلها ظهر المجنِّ
وبين يدي محتبسٌ طويلٌ * كأني قد دعيتُ له كأني
يظن الناس بي خيراً وإني * لشر الناس إن لم تعفو عني

أحبتني في الله.. في هذا اللقاء نذكر قصة في غاية الاختصار، ولكنها تتضمن عبراً، بل وآيات من آيات صدق النبي صلى الله عليه وسلم... الحديث رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهَلَا نَمَلَةٌ واحدة" صحيح البخاري.

العدل والظلم

الله سبحانه وتعالى أقام الدنيا على سنن العدل، ولكن الناس يقعون كثيراً في الظلم، وأعظم الظلم أن يظلم العبد نفسه بالشرك، بالكفر، بترك الإيمان والتوحيد، ثم ظلم العباد للعباد.. حتى الظلم لا ينبغي أن يتوجه للحشرات.

ربنا يقول: "وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ" ق: ٢٩

ويقول: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا" صحيح مسلم.

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقصُّ علينا قصة هذا النبي، لم يذكر لنا اسمه، فهو نبيٌّ لا نعرف اسمه لكننا نصدق نبينا صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، ولعله لم يذكر لنا اسمه حتى لا يقع في قلب البعض شيءٌ من الحطِّ من شأن النبي، النبي يُخطأ في اجتهاده ويصحح الوحي هذا الاجتهاد.. ينكر الله عليه إن فعل شيئاً اجتهد فيه فأخطأ.

وهذا النبي كان نائماً في ظل شجرة فُقرص - قرصته نملة - ولا شك أن النملة إذا تعرضت لك بالقرص فهي معتدية، أنا باقول الكلام ده لأن البعض قد يفهم من هذا الحديث عدم جواز قتل الحشرات مطلقاً..

لا.. الرسول صلى الله عليه وسلم أجاز لنا أن نقتل المؤذي من الحشرات، ألم يقل لنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: "خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا" صحيح مسلم

مع إن في الحرم لا يجوز قتل أي شيء، إلا هذه الفواسق الخمس، تُقتل في الحل، وتُقتل في الحرم، وذكر منها النبي صلى الله عليه وسلم الكلب العقور، وذكر منها الحِدَّة التي تخطف مثلاً ما عند الناس من طيور، ذكر الغراب الأبقع الذي يفعل مثل هذا، ذكر الفأرة التي ربما تُفسد أرزاق الناس وأقوات الناس، ذكر الحية التي تؤذي.. فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل هذه الفواسق حتى في الحرم؛ لأنها مؤذيات بطبعها.

لكن النمل ليس مؤذياً بطبعه، مثلاً قد يقول قائل الناموس الهاموش هذه المؤذيات تتعرض للإنسان ألا نتخلص منها؟ يجوز لأننا لا نُهلك الأمة وإنما نتخلص مما يؤذينا، يعني مينفعش أنني أجي في مكان عام وأقول أنا أهلك كل هذه الحشرات، لا يصح، بل الإنسان يعجز عن ذلك.

التشريعات الربانية والتوازن البيئي

أنا بقول الكلام ده؛ لأن علماء البيئة اليوم بيتكلموا عن شيء اسمه التوازن البيئي، يعني إيه التوازن البيئي؟! يعني رب العزة لم يخلق شيئاً عبثاً، وخلق الكون بما فيه متكاملًا، ولهذا تجد مثلاً في الغابة الحيوانات التي تأكل العُشب، وتجد نفس الغابة الحيوانات التي تفترس هذه الحيوانات التي تأكل العُشب، لو تُركت الحيوانات آكلة العُشب دون أن تتعرض للافتراس، ستقضي على العُشب كله، ثم تموت جوعاً، فهذا يُحدث خللاً بيئياً.

ولهذا علماء البيئة النهادة يحرمون مثلاً الصيد في أماكن معينة، يحرمون القضاء على ذرية حيوان معين، يقولوا مثلاً هذا الحوت باقي منه في العالم كله مثلاً ١٠٠ أو ٢٠٠ لا يجوز صيده أو التعرض له؛ لأن هلاك هذا النوع من أنواع الحيوان سيُفسد في البيئة، سيُفسد هذا التوازن.. وإحنا عايزين التوازن يبقى قائم موجود؛ لأن بهذا التوازن ننفس هواءً نظيفاً، بهذا التوازن تستقيم الحياة على ظهر الأرض.

الرسول صلى الله عليه وسلم يُشير في هذا الحديث إلى ما يُعرف اليوم بالتوازن البيئي، ماينفعش تهلك أمة من الأمم حتى ولو كانت من الحشرات، طيب قد يقول لي قائل: الخنزير ما فائدته؟! نحن نعلم أن الله حرّم أكله، وأنه يرعى

القاذورات ونحو هذا، ونعلم أنه حرام في كل الشرائع، نعلم هذا يقينًا، ونعلم أن المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان سيقتل الخنزير.

معنى سيقتل الخنزير أي في آخر الزمان، أما قبل المسيح عيسى بن مريم فلا يجوز لأحد أن يقول أنا أستأصل هذا الحيوان من الوجود؛ لأن الله قدّر أن الذي يقتله في آخر الزمان عيسى.. ومعنى يقتله يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، يضع الجزية - يعني يأبائها ويرفضها - هذا من أحكام آخر الزمان، معنى أنه يهلكه قد يحتمل أنه يهلكه كله، ويحتمل غير ذلك.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب في المدينة، المدينة تعرضت لغزوة من الكلاب، فالرسول أمر بقتل الكلاب، خاصة الكلب العقور فهذا يُقتل في كل الأحوال؛ لأنه مُفسد..

لكن الأمر بقتل الكلاب في المدينة لا ينفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في اتخاذ كلب الحراسة، وكلب الماشية، وكلب الزرع، ونحو هذا، والكلب المُعلّم أو المدرب في الصيد، هذا كله مأذون فيه.

يبقى إذن قضية إنه تُهلك طائفة من الطوائف، حشرة من الحشرات، حيوان من الحيوانات، سمكة من الأسماك، هذا يحدث خلالًا، وأيضًا هذا فيه ظلم، إذا كان المؤذي يُقتل، لكن يُقتل بغير إبادة؛ لأننا كما قلنا هذه الحشرات يعتمد بعضها على بعض، وهذه الكائنات يعتمد بعضها على بعض، في طعامه، وفي حياته، ليحدث التوازن البيئي المنشود الذي من خلاله تستقر الحياة على كوكبنا الأرضي.

الظلم يؤدي إلى الإفساد

طيب قتل المؤذي.. إحنا تكلمنا عنه، وتكلمنا عن عدم جواز التّعرض لكائن من الكائنات بالإبادة، وقلنا أن هذا يؤذي، ونقول أيضًا إن هذا فيه ظلم؛ لأن الله خلق هذا الكائن، خلق هذه الأمة من الأمم، وإن كل خلق الله من الحيوان أو الجماد أو النبات يُسبح الله.. فكيف تُفني أمة من الأمم تُسبح الله؟!

تسبح الله، تعبد الله، تنقاد لله، فلا ينبغي هذا.. ولهذا يُعد ما يفعله الإنسان فسادًا وإفسادًا "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" الروم: ٤١.

يبقى التّعدي على الكائنات أو المخلوقات حتى لو كانت مؤذية بالقضاء عليها تمامًا هذا قد يتضمن فسادًا وإفسادًا، وهذا كما قلت هو الذي يحدث الخلل البيئي في المجتمع، أو في الكوكب الأرضي، والخلل البيئي يؤثر على التوازن البيئي في الكرة الأرضية.. لكن لا مانع من إن إحنا نعدل حتى مع الحيوان، يعني إذا كانت هناك حشرة مؤذية نقتلها؛ لأنها مؤذية.. الناموسة مثلاً هذه تسبب أمراضًا خطيرة للإنسان، وربما تؤدي إلى قتل الإنسان، يبقى يجوز هنا قتلها؟! يجوز هنا قتلها..

لكن الذي لا يجوز ولا يملكه الإنسان ولا يمكنه فعله أن يقضي على جنس الناموس، ولو فعل لكان هذا إفسادًا في الأرض؛ لأن هناك حشرات، وهناك حيوانات، وهناك كائنات تتغذى عليها، فيحدث التوازن البيئي الذي أخبرتكم به.

قضية العدل

ثم قضية العدل.. قضية العدل النبي الذي أحرق قرية النمل؛ لأن نملة قرصته، قال له ربه، أوحى إليه ربه: "فهلّا نَمْلَةٌ واحدة"، تُهلك أمة من الأمم تُسبِح!! نحن نعلم أن خلية النمل وخلية النحل من أعظم الكائنات تنظيمًا ورعاية لحق بعضها البعض.. هذه الكائنات في كل خلية ملكة، وفي كل خلية عمّال وشغّالون، وفي كل خلية نظام لا يخرج عليه أحد ولا يتجاوزه أحد، بل ويتكلمون ويتهايمسون..

ألا تقرأ في القرآن الكريم: "قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا" النمل: ١٨: ١٩.

والنمل له لغة، وكل هذه الأشياء لها طريقة تفاهم بها وتتعارف بها، إنه خلق العزيز العليم: "ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" الأنعام: ٩٦..

سبحانه وتعالى، ومن الظلم أن يُقتل من لا يؤذي، حتى وإن كان في أصله مؤذيًا، ولهذا جاءت آثار بالنهي عن قتل النمل؛ لأن النمل بطبعه غير مؤذي..

لكن قد يقول لي قائل: إذا دخل النمل إلى مطبخي، فأفسد عليّ، فهل يجوز أن أتعامل معه بشيء من القتل بالمبيدات أو نحو ذلك؟! يجوز؛ لأنه هو اعتدى، أنا أدفع عن نفسي، أنا أدفع بما استطعت، لكني لا أتبع هذا الكائن بالقتل والإنهاء؛ لأن هذا لا يجوز..

وقد أنكر الله على هذا النبي أنه أحرق قرية النمل؛ لأن نملة واحدة قرصته.. أمن أجل نملة واحدة تُهلك أمة من الأمم تسبِح؟! هذا لا يجوز، وطبعًا النبي عرف ورجع، وعاد وتاب، لكن الدرس نتعلمه نحن، كيف نتعامل مع خلق الله، ومع الكائنات التي أوجدها، الله بالصورة التي تؤدي إلى الصلاح، لا إلى الإفساد والفساد.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا لما يُحب ويرضى..

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وشكر الله لكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>